

الاستجابة للعنف المتفاقم في العراق

روبرت زعرمان

يتحمل المدنيون وطأة العنف المستمر في العراق فقد أصبحت الإصابات المروعة اليومية التي تعتبر أمراً غير لا يمكن تقبله في أي مكان آخر في العالم أمراً روتيناً في العراق. وتواجه الدولة فشلاً كبيراً في ضمان احترام وحماية أرواح وكرامة ملايين المدنيين الذين لا يلعبون أي دور في العنف المستمر في العراق.

وكثيراً ما تكون العائلات النازحة والمجتمعات المضيقة لها في أشد الحاجة لسبل الحماية وإمكانية الحصول على مياه نقية وأنظمة صرف صحي مناسبة والطعام وأشياء ضرورية أخرى. وقد استفاد في عام ٢٠٠٦ أكثر من أربعة ملايين شخص من مشاريع البنى التحتية الخاصة بالماء والصرف الصحي التي قام بإنشائها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق كما استفاد ٦٩ من مراكز الرعاية الصحية الرئيسية في العراق من أعمال إعادة التأهيل. وقد تلقى عشرون مستشفى من المستشفيات الرئيسية أدوات طبية وجراحية لمعالجة الجرحى، كما تلقى أكثر من ٢٢٧ ألف شخص في أماكن عديدة، معظمهم عائلات نازحة، مساعدات غذائية بمشاركة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، إضافة إلى تلقي أكثر من ١٦١ ألف شخص معدات منزلية أساسية. وتخطط الآن كل من جمعية الهلال الأحمر العراقية واللجنة الدولية للصليب الأحمر لزيادة معدلات توزيعها من المساعدات الغذائية والمساعدات الأساسية الأخرى بحيث تصل إلى ما يقرب من ٦٦٠ ألف من المحتاجين.

من العراقيين يجبرون على ترك منازلهم بسبب العمليات العسكرية والانفلات الأمني العام والصعوبات الاقتصادية. ويتسم المنظر العام بالكآبة وخاصة في بغداد ومناطق أخرى التي تختلط فيها المجتمعات حيث يزداد الموقف سوءاً.

وغالبا ما يكون قرار الفرار من القتال أو العنف الطائفي الملائم الأخير الذي يتخذه الأشخاص أو العائلات رغبة منهم في تحسين وضعهم الأمني، حيث يتوجب عليهم بمجرد اتخاذ هذا القرار الاعتماد على المساعدات لتلبية احتياجاتهم الأساسية. ويلجأ معظمهم لدى عائلات مضيقة والتي تعاني نتيجة للعبء الإضافي على مواردها المحدودة. بينما يتخذ البعض المعسكرات والمباني العامة والثكنات العسكرية المهجورة ملجأ لهم.

فمنذ الهجمات التفجيرية على مكتب الأمم المتحدة في أغسطس وعلى وفد اللجنة الدولية للصليب الأحمر في أكتوبر من عام ٢٠٠٣ أصبحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر من المنظمات الإنسانية الدولية القليلة التي تتمتع بوجود عملي دائم في المناطق الواقعة وسط وشمال وجنوب العراق.

وتقدر جمعية الهلال الأحمر العراقية، والتي تعمل بشكل وثيق مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر خاصة في المجالات المتعلقة بلم شمل الأسر وعمليات الإغاثة الطارئة، أن ما يقرب من ١٠٦ ألف عائلة قد نزحت حديثاً داخل العراق منذ فبراير ٢٠٠٦. وتتكون ثلثي هذه العائلات من النساء والأطفال، وعادة ما تكون المرأة العائل الرئيسي لهذه الأسر. وما زال الآلاف



بدي غلامان اللجنة الدولية للصليب الأحمر

الصارخ وعدم الاكتراث للكرامة الإنسانية والمبادئ الإنسانية الرئيسية إلى مستويات لم يسبق لها مثيل. ومع ذلك تبقى مسألة حماية كل المدنيين والأشخاص المحرومين من حريتهم من أهم أولويات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق لكي لا يصبح المدنيون طرفاً في الصراعات وضحايا للانتهاكات المتكررة للقانون الإنساني الدولي. وتعد مشاكل الحماية في العراق كثيرة ومعقدة، وتدرك لجنة الصليب الأحمر أن إسهاماتها لحل تلك المشاكل تبقى لسوء الحظ جزءاً صغيراً من إجمالي الاحتياجات في العراق.

لقد فرق الصراع الدائر في العراق الكثير من العائلات بسبب تعرض الأقارب للاعتقال أو بسبب نزوحهم عن منازلهم للبحث عن الأمان في مكان آخر في العراق أو خارجه. فما زالت الكثير من العائلات لا تعرف أية أخبار عن أقاربها الذين فقدوا خلال الصراعات السابقة أو الحالية. وعادة ما يحتاج أعضاء العائلات المشتتة

ومن الضروري بالإضافة إلى مساعدة كل هؤلاء المحتاجين يجب التوسع في تقديم المساعدات التي تقدمها المنظمات الإنسانية المحايدة والتي تتمتع بالاستقلالية عن الجماعات المسلحة أو أي من أطراف النزاع حيث أن علاقتها بطرف أو بأخر، أو حتى مجرد الظن أن لها علاقة، يمكن أن يؤدي إلى تهديدات جديدة للمستفيدين أنفسهم. إن الاحتياجات هائلة ومن ثم تتطلع اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى العمل بالتنسيق مع المنظمات الإنسانية الأخرى.

ويجب أن تكون مسألة توفير الحماية للمدنيين في العراق من أهم الأولويات لمنع حالات النزوح. ويعد ذلك تحدياً كبيراً بسبب حدة العنف وانعدام الأمن وآثار ذلك على العاملين في المساعدات الإنسانية أنفسهم، وبسبب تعدد الأطراف المشتركة في هذا النزاع وأيضاً بسبب صعوبة تحديد وعمل اتصالات مع المجموعات المسلحة وكافة أطراف النزاع. لقد وصل الإهمال

وقد كان للمجموعات النازحة داخلياً تأثيراً كبيراً على المجتمعات المضيفة، ومن ثم تتوخى اللجنة الدولية للصليب الأحمر الحرص في تحقيق الموازنة الضرورية في تقديم المساعدات للأشخاص النازحين داخلياً مع تأمين دعم إضافي للعائلات المضيفة. ولا تقوم اللجنة بالترفة بين فئات ضحايا النزاع المسلح وذلك لتجنب تجاهل أولئك الذين لا ينتمون لفئات معينة، وهو مبدأ من مبادئ اللجنة الدولية للصليب الأحمر. ويتجلى هذا الأمر بوضوح في العراق أكثر من أي مكان آخر نظراً لاختلاط النازحين داخلياً مع المجتمعات المقيمة. ومع ذلك تركز اللجنة الدولية للصليب الأحمر، في تأكيد منها على التزامها مبدأ النزاهة، جهودها على أكثر الأشخاص تضرراً، ومن ثم يجب أن يكون هناك توسع في تقديم المساعدات بطريقة لا ينتج عنها توتر جديد وعنف محتمل.

الحكومية وغير الحكومية وفقاً للقانون الإنساني الدولي.

روبرت زيمرمان (rzimmerman@icrc.org) هو نائب رئيس الوكالة المركزية للتسجيل وقسم الحماية في اللجنة الدولية للصليب الأحمر. للمزيد من المعلومات عن برنامج العراق الخاص بوفد اللجنة الدولية للصليب الأحمر الرجاء زيارة الموقع التالي:
www.icrc.org/Web/eng/siteeng0.nsf/html/iraq!Open

ولمزيد من المعلومات حول منظمة الهلال الأحمر العراقية، انظر مقالة جمال الكربوبي في الصفحة ٤٨ من هذه النشرة.

وللمزيد من المعلومات عن دور وفد لجنة الصليب الأحمر لحماية النازحين داخلياً، الرجاء قراءة مقال (ألان إيشليمان) 'حماية النازحين داخلياً'، نشرة أكتوبر ٢٠٠٥ على الموقع التالي:
www.fmreview.org/FMRpdfs/FMR24/IDP%20Supplement/11.pdf

الأحمر هذه المؤسسات بالدعم المادي والتدريب لتمكينها من زيادة من زيادة طاقتها.

ويقول أحد موظفي اللجنة الدولية للصليب الأحمر في بغداد:

"اعتبر نفسك محظوظاً إذا تلقيت تحذيراً بترك منزلك حيث يمنحك التحذير على الأقل الفرصة للبقاء على قيد الحياة، ويجب أن تكون مستعداً لترك منزلك في أية لحظة".

إن الوضع الإنساني في العراق يزداد سوءاً على نحو مطرد ويؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على كل العراقيين. ومن ثم يجب أن تكون مسألة حماية المدنيين العراقيين من أهم الأولويات، ولذلك تدعو اللجنة الدولية للصليب الأحمر وبشكل عاجل مزميد من الاحترام للقانون الإنساني الدولي، كما تناشد كل من لديه نفوذ عسكري أو سياسي أن يعمل الآن على التأكد من حماية أرواح المدنيين العراقيين وإنقاذها، حيث يعد ذلك التزاماً وواجباً يقع على عاتق المنظمات

للمساعدة في تحديد أماكن أقاربهم والاتصال بهم.

تقوم لجنة الصليب الأحمر في العراق بانتظام بزيارة الأشخاص المحتجزين لدى القوات متعددة الجنسيات أو لدى حكومة إقليم كردستان وذلك لتقييم ظروف احتجازهم والطرق التي يعاملون بها. ويتم إطلاع السلطات المسؤولة بطريقة سرية على الحقائق والتوصيات وذلك للبحث عن التحسينات المطلوبة. وتساعد لجنة الصليب الأحمر العائلات التي لا يمكنها تحمل الرحلات الطويلة والمكلفة على زيارة أقاربهم المحتجزين في العديد من مراكز الاحتجاز التي تديرها القوات متعددة الجنسيات.

وتواجه المؤسسات الطبية القانونية صعوبات كبيرة في التعامل مع الكم المتزايد من الجثث وتؤكد على عدم قدرتها على الاحتفاظ بها بالشكل الصحيح أو بجمع البيانات المتعلقة بتحديد هوية هذه الجثث بهدف التمكن من إعلام العائلات في حال وفاة أحد أقاربها. ففي عام ٢٠٠٦، كان ما يقرب من ١٠٠ مدني يلقون حتفهم كل يوم، ونصف هذا العدد كان يبقى مجهول الهوية. ومن ثم تساعد لجنة الصليب